﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء:42 - 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

لا حافِظَ لِلخَلْقِ إلّا اللهُ تَعالى

لمّا بيَّن اللّهُ فيما سبَقَ أنَّ الكُفّار في الآخِرَة لا يكفّون عَن وُجوهِهم النّار ولا عَن ظهورِهم؛ أتبَعَهُ في هذه الآيَةِ بأنَّهم لولا أنَّ الله تَعالى يَحْرسُهم ويَحْفَظُهم لَما بَقوا في السَّلامة؛ فقالَ اللّهُ تَعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ﴾ لِهَؤلاء الكفّار الذين يَسْتَهْزئون ويَغْتَرّون بِما هُم عليه ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1].

ومِن أوْجُه التَّناسبِ بَيْنَهُما: أنَّ اللّهُ تعالى لَمّا هَدَّدَهُم بِحلول العذابِ عليهِم، بحيثُ لا يُمكِنُهُم دَفْعُه عَن أنفُسِهم، وبيَّن لَهُم على وجْه الوَعيد ما حلَّ بأشباهِهِم مِنَ المُسْتَهْزئين بالرُّسُل، وكانَ الأمانُ عَن مِثْلِ ذلكَ لا يَكون إلّا بِشَيْءٍ يوثَقُ به؛ أمَرَ اللّهُ سُبحانَهُ نَبيَّه ﷺ أن يَسْألَهُم مُقَرِّعًا ومُبَكِّتًا لَهُم: مَن الذي يَحْفَظكم مِن بأس اللّهِ، فقالَ: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَكۡلَؤُكُم﴾: (كلأ) تدلُّ تصريفاتُها على معنَيَين كُلِّيَّين؛ أحدهما: حِفْظُ الشَّيء وتَبْقيَتُه، والآخرُ: ضربٌ مِنَ النَّبات؛ وهو الكَلَأ.

أمّا الحِفْظُ والتَّبْقيَة؛ فمنهُ الكِلاءةُ، وهي الحفظُ، يقال: كلأَهُ اللّهُ

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 13/ 505.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 118.

سُبحانَهُ، أي: حَفِظَهُ، ومِنْهُ قولُ الله تَعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[1]، والمُكلأ مَوْضِعٌ تُحْفَظُ فيه السُّفن[2].

2) ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: (عرض) تدلّ اشْتِقاقاتُها عَلى مَعْنى الظُّهور والبروزِ، يُقال: عرَضَ الشَّيءُ؛ إذا ظَهَر وبرَزَ، وقيلَ: إنَّ المادَّة تدورُ على مَعْنى العَرْضِ الذي هو ضدُّ الطُّول، يُقال: اعْتَرض الطَّريقَ؛ إذا سارَ عرضًا، وسُمّي الرَّفضُ إعراضًا؛ لأنَّ الرّافض أظهر خلافَ الشَّيءِ، أو لأنَّه كالواقفِ عرضًا في وجه الشَّيءِ، وأعْرَضَ: أظْهَر عُرْضَهُ، أي: ناحيَته؛ فإذا قيل: أعْرَضَ لي كذا، أي: بَدا عُرْضُه فأمكَن تَناوُله، وإذا قيل: أعْرَض عنّي؛ فمَعْناهُ: ولّى مُبْدِيًا عُرْضَه، والإعراضُ: الصَّد والتَّولّي والرَّفض، تقول: أعرضَ عنه؛ أي: صدَّ وتولَّى، والمُعْرِضُ: المُتَوَلّي[3]، وهو المقصودُ في قولِ الله تَعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

3) ﴿تَمْنَعُهُم﴾: (منع) تدُلُّ اشْتِقاقاتُها على حَجْزِ ظاهرِ الشَّيْء ما في باطِنِه شديدًا، فلا يكونُ فيه مَنْفَذٌ إلى ما بداخِلِه، ومِنْهُ: المَنْعُ؛ وهُو تَحْجيرُ شَيْءٍ والحَيلولة دونَ الوصولِ إليه، ومِنْ هذا المعنى: المَنْعُ الذي هو ضدُّ الإعطاءِ[4].

وَقولُ الله سُبحانَهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ أي: تُجيرُهُم وتَحْفَظُهُم[5]، بِمَعْنى: الحَيْلولَة دون وُصولِ العذابِ إلَيْهِم.

4) ﴿نَصْرَ﴾: (نصر) تَدورُ مادَّتُها حول معنَى إتيانِ خيرٍ وإيتائِه بِما فيه زيادةٌ مناسِبةٌ وقُوَّةٌ، ولازِمُهُ: دَفْعُ الضُّرِّ[6]، ومِنْهُ سمّيَ المطرُ نَصْرًا[7]، والنَّصْرُ على العَدُوِّ: إعانَةُ الخصم عليه في حَرْبٍ أو غيرها؛ بقُوَّةِ النّاصر وغَلَبَتِه[8]، والاسْتِنْصارُ: طَلَبُ النَّصْرِ.

وقولُ الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ بِمَعْنى: لا يَسْتَطيعونَ دفعَ المَكْروه عَنْهُم.

(1) الخليل، العين، والجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كلأ).
(2) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (كلأ).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، والزبيدي، تاج العروس: (عرض).
(4) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (منع).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 84.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصر)، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/ 79، ومحمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (نصر).
(7) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (نصر).
(8) الفيُّومِيّ، المصباح المنير: (نصر)، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/ 486.

5) ﴿يُصْحَبُونَ﴾: (صحب) تدلُّ تصريفاتُها على مقارنَةِ شيءٍ ومقارَبَته[1]، ومِنْهُ الصّاحبُ، وهُوَ المُلازِمُ، سواءٌ أكانَ إنْسانًا أم حَيوانًا أم مَكانًا أم زَمانًا، مِنْ غيرِ فرْقٍ بَيْنَ أنْ تَكونَ مُصاحَبَتُه بالبَدَنِ - وهُوَ الغالِبُ والأصلُ - أوْ بالعِنايةِ والهِمَّة[2]، ولا يُقال في العُرْفِ إلّا لِمَن كَثُرَت مُلازَمَتُه، ويُقال لِمالِكِ الشَّيءِ: هُو صاحبُهُ، وكذلكَ لِمَن يَملِكُ التَّصرُّف فيه[3].

ومن هذا الباب قول الله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾؛ فإنَّ معناه: يُمنَعونَ ويُجارون ويُحفظون، كما يَحْفَظُ الأديمُ الجسمَ أو الجارُ جارَهُ؛ فهذا المَعْنى مِن لَوازِمِ المُصاحبَةِ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا رادَّ لِقَضاءِ الله تَعالى عِنْدَ نُزولِه ولا مُعَقِّب لِحُكْمِه

في هاتَيْنِ الآيتَيْنِ يقولُ اللّهُ تَعالى لنبيِّه ﷺ قُل يا مُحَمَّد لِهَؤلاء الذين اسْتَهْزؤوا بكَ واسْتَعْجَلوا العذابَ: مَن يَحْفَظُكُم ويَحْرُسُكم - باللَّيل إذا نِمتُم، وبالنَّهار إذا تَصَرَّفْتُم - مِن أمرِ الرَّحمن إن نزَلَ بِكُم، ومِن عذابه إن حلَّ بكم؟ بَل هُم عن ذِكر مواعظِ ربِّهم وحُجَجِه التي احتجّ بها عليهم مُعْرِضون، لا يتدبَّرون ذلكَ، فلا يَعْتَبِرون به جَهْلًا منهم وسَفَهًا.

أم لهؤلاءِ الذين اسْتَعْجَلوا العذابَ آلهةٌ تَمنَعُهم إن نَحْنُ أحْلَلْنا بِهِم عذابَنا وأنزلنا بِهم بَأْسَنا مِن دونِنا؟ وكيفَ تَسْتَطيعُ آلهَتُهُم التي يَدْعونَها مِن دونِنا أن تَمنَعَهم مِنّا وهيَ لا تستطيعُ نصرَ أنفُسِها، وهُم مِنّا لا يُجارونَ[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صحب).
(2) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (صحب).
(3) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (صحب).
(4) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صحب).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 446 - 447، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 325.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الخِطابِ بِالأمرِ ﴿قُلْ﴾:

تَوْجيهُ الخِطابِ لِلنَّبيِّ ﷺ لِكَوْنِه المُبَلِّغَ عَنِ اللهِ سُبْحانَهُ

الخِطاب بالأمرِ في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ موجَّهٌ لِلنَّبيِّ ﷺ، أي: قُل يا نَبيَّنا لِهَؤلاء المُسْتَهْزئين بكَ الجاحِدين نبوَّتكَ: مَن يَحْفَظُكم مِن بأسِ الله تعالى حينَ يَحُلُّ عَلَيْكُم[1].

وهذا الأمر جارٍ على أصلِه من إرادَةِ طلبِ الفعلِ على وجه الإلزامِ؛ لكونِه صادِرًا مِن الله تعالى لنبيِّه ﷺ.

دِلالَةُ الاسْتِفْهامِ في ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾:

تَقْريعُ الكُفّارِ وتَبْكيتُهُم وتَوْبيخُهُم

﴿مَن﴾ في قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ استفهاميَّة، وهذا الاستفهامُ خارِجٌ عَن أصلِ دِلالته مِن إرادةِ طلَبِ العِلْمِ بِشَيْءٍ لَم يكُن معلومًا مِن قبلُ إلى مَعْنى التَّقْريع والتَّوْبيخ والتَّبكيت[2]، بقرينَةِ المقام، وبقرينةِ قولِه بعدُ: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾، أي: أنَّ اللهَ تَعالى لمّا أمرَ رسولَهُ ﷺ بِسُؤالِهم عنِ الحافظ؛ بيَّن لهُ بعدُ أنَّهم لا يَصْلُحون لذلكَ؛ لإعراضِهم عن ذِكْرِ مَن يَكْلَؤُهم[3].

ويَجوزُ أن يكونَ المُرادُ مِنِ الاسْتِفْهام التَّذكيرَ والتَّنبيهَ عَلى ما هُم فيه مِن نِعَمٍ عَظيمَةٍ، ويَجوز أن يكونَ المرادُ بالاستفهام النَّفيَ والإنكارَ، والتَّقدير: (قُل لَهُم لا حافظَ لَكُم باللَّيل والنَّهار مِن الرَّحمن)[4]، وإذا كانَ كذلكَ فكَيْفَ تعبُدون غيرَهُ؟ أو أن يُراد به التَّقرير؛ بِمَعْنى: لَو سُئِلوا مَن يَكْلَؤُكُم مِن عذابِ الرَّحمن؛ أُلْجِئوا إلى الإقْرارِ بأنَّ الذي يَحْفَظُهُم اللهُ سُبْحانَهُ؛ لأنَّهم يَعْلَمونَ أنَّه لا يَنْفَعُ ولا يضرُّ إلّا هو تَعالى، ولذلك يُخْلِصون له الدُّعاء في حالِ الشِّدَّة

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 83 - 84، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 423، والشنقيطي، أضواء البيان: 722/ 4.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 118، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 433.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 448.

ولا يَدّعونَ معَهُ غَيْرَه[1]، ولا تنافيَ بينَ هذه الدّلالاتِ كلِّها؛ إذِ النِّكات البلاغيَّة تتوارَدُ ولا تَتزاحَم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بـ ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ مادَّةً وصيغَةً:

دَوامُ نَفْيِ الحافِظِ مِنَ العَذابِ غَيْرِ اللهِ سُبْحانَهُ

آثرَ القُرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالكِلاءَةِ في قولِه: ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ دونَ الحِفْظِ؛ لِوُجودِ فرْقٍ بينَهُما؛ فالكِلاءَةُ: حِفْظُ الشَّيءِ وتَبْقيَته، يُقال: كلأَك اللهُ: حَفِظَكَ وأَبْقاكَ؛ فالكِلاءَةُ إمالَةُ الشَّيءِ إلى جانبٍ يَسْلَمُ فيه من الآفةِ، ولذلكَ فهيَ أخَصُّ من الحِفْظِ؛ فقَد يُحْفَظُ الشَّيء ولا يَسْلَمُ من الآفةِ.

وأمّا عن صيغَتِه في التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارع ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ من قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للدّلالةِ عَلى الدَّوام والاستِمرار، أي: لا يَحْفَظُكم أحدٌ باللَّيل والنَّهار على وجْه الاسْتِمرار من عذابِ اللهِ تَعالى حين يَحُلُّ بِكُم، وهذا النَّفْيُ المُسْتفادُ مِنَ الاستفهام مُتَوَجِّه لأصلِ الفعل وهُو الحِفْظُ، لا إلى الاستمرارِ؛ إذْ لَو تَوَجَّه النَّفي للاستمرارِ لأفادَ أنَّ هناك مَن يَحْفَظُهُم من عذابِ اللهِ سُبْحانَه ولَكِنْ لا يَدوم حِفْظُه لَهُم، وإنَّما مقصودُ الآية استمرارُ هَذا النَّفي بقرينةِ المَقام.

وفيه توبيخٌ لِلمُشْركينَ عَلى عِبادَتِهم لِهَذِه الأصْنام التي لا تَحْفَظُهُم ولا تَدْفَعُ عَنْهُم المَكْروهَ.

بَلاغَةُ الطِّباقِ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ:

لِكُلٍّ مِنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ آفاتٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ

في الجَمع بينَ اللَّيل والنَّهار في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قَصْدٌ لاسْتيعابِ الأزْمِنَةِ كلِّها، والتَّقْديرُ: (مَن يَكْلَؤُكُم في جَميعِ الأوقاتِ؟)[2].

وفي التَّنصيصِ عَلى ذِكْرِ اللَّيل والنَّهار أيضًا: لِما لِكُلٍّ واحدٍ مِن

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 4/ 154.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 73.

الزَّمنَيْنِ مِنَ الآفاتِ المُخْتَصَّة به، والمعنى: مَن يَكْلَؤُكُم باللَّيل إذا نِمتُم، وبالنَّهار إذا تَصَرَّفْتُم في مَعايِشِكُم[1].

دِلالَةُ تَقْديمِ اللَّيْلِ عَلى النَّهارِ:

المُفاجَأةُ بالعَذابِ لَيْلًا أكْثَرُ، ووَقْعُها فيه أشَدُّ

قُدِّمَ اللَّيل على النَّهار في قولِ الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ لأنَّه زمنُ المَخاوف؛ إذِ الظَّلام يُعينُ أسبابَ الضُّرِّ على الوُصول إلى مُبْتغاها مِن إنسانٍ أو حَيَوانٍ أو عِلَل الأجْسام، ولِكَوْنِ المفاجآت بالعذابِ في اللَّيل أكثَر، ويكونُ وقعُها فيه أشدَّ؛ إذِ اللَّيل محَلٌّ للاطمئنانِ، فالمُباغتَةُ فيه أنْكى وأشَدُّ[2]؛ لأنَّهُم غَيْرُ مُتَوَقِّعين لِحدوثِ شَيءٍ مِن وُقوعِ العَذابِ، بَل يَفْجَؤُهم بهِ، ولِذَلِك جاءَت آياتٌ في القُرآنِ الكَريم، ورد فيها تقديمُ اللَّيل على النَّهار، ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس:50]، وقولهُ: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس:24]، فقُدِّم اللَّيل على النَّهار؛ لأنَّ التَّخويفَ بِه أعْظَمُ وأشَدُّ.

دِلالَةُ التَّعْبير بـ ﴿مِنَ﴾ في قَوْلِه: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾:

أثَرُ مَعاني الحُروفِ في بَيانِ دَقائِقِ المَعاني القُرْآنيَّةِ

﴿مِنَ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حرفُ جرٍّ، وهي ومَجْرورُها مُتَعلِّقان بالفعلِ ﴿يَكْلَؤُكُم﴾، والمَعْنى: مَن يَحْفَظُكم مِن عذابِ اللهِ تعالى وبَأْسِه، ونظيرهُ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود:63][3].

وجوَّز بعضُ أهلِ العلم أنْ تَكون ﴿مِنَ﴾ بمعنى البدَلِ، والتَّقدير: (مَن يَحْفَظُكم باللَّيل والنَّهار بَدَلَ الرَّحمن)، أي: غَيْرَه؟[4].

ولا تَنافي بينَ المَعْنَيَيْنِ، بَل هُما مُتآيلانِ يُصَدِّق أحدُهما الآخَرَ.

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 147.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 74، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4869.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان: 4/ 154.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 344.

سِرُّ التَّعبيرِ باسْمِ الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾:

تَـعْـذيـبُ أهْـلِ الإجْـرامِ مِنْ آثارِ رَحْمَةِ الله تَعالى

في اخْتيارِ اسْمِ اللّه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ من قول اللّه ﷻ: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ نكاتٌ[1]:

إحداها: أنَّ في ذلك تَلْقينًا لِلجَواب؛ ليقولَ العاقلُ: أنتَ الكالِئ الحافظ يا ربَّنا لكلِّ الخلائقِ برحمتكَ، فهو كقولِ اللّه سُبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الإنفطار:6]؛ فإنَّه خَصَّ اسمَه الكريمَ بالذِّكْرِ تلقينًا للجواب.

ثانيها: لَمّا كان لا مُنْعِم بالكِلاءَة ولا بغيرِها مِن النِّعم إلّا اللّهُ تعالى؛ ذكَّرهم بذلك بِصِفة الرَّحمة، ففي ذلك إيذانٌ بأنَّ كِلاءَته لَهُم من آثار رحمته العامَّة.

ثالثُها: فيه إشارة إلى أنَّ حلولَ العذابِ بِهِم بعدَ ذلك الاستهزاءِ من آثار رحمَتِه؛ لأنَّ عقابَ أهلِ الإجرام مِن الرَّحمةِ، ووَجْهُهُ: أنَّه إذا حلَّ العذابُ بالفُجّار؛ فهو رحمةٌ للأبرارِ، إذْ مِنَ الرَّحمة ألّا يُسَوّى بينَ المُحسن والمُسيء.

رابِعُها: أنَّ فيه تنبيهًا إلى شدَّتِه، وتنديمًا لَهُم؛ حيثُ عذَّبهم مَن سبَقَتْ رحمتُهُ غضبَهُ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿بَلۡ﴾:

غَـفْـلَـةُ الـكُـفّـارِ عَـنْ سَـطْـوَةِ الله تَـعـالى وأمْـنُـهُـم مِنْ مَكْرِهِ

﴿بَلۡ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ للإضْراب الانْتقاليّ؛ انتُقِلَ مِن وصفٍ للمشركينَ إلى وصفٍ آخرَ لَهُم؛ فهُم يَسْتَهْزئونَ ويَجْهلونَ ولا يَنْتَبهونَ مَع وُجودِ المُنَبِّه المُرْشِد الذي يُرْشِدُهم إلى رَبِّهم؛ لِذلكَ جاءَ التَّعبير بـ﴿بَلۡ﴾؛ لأنَّه لَمّا كان الاستفهامُ في قولِه: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ مرادًا به النَّفيُ، أي:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 146، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 424، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 196، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4869.

لا حافِظَ لَكُم مِن عذابِ اللّه تعالى حين يحُلُّ بِكُم؛ أعقبه بالإضرابِ عَنْهُ بقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: هُم في أمنِهِم مِن سَطْوَتِه مُعْرِضون، غيرُ ذاكرينَ لهُ أصلًا، فضْلًا عَن أن يَرْتَقوا إلى خَشْيَةِ بَأْسِه[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿هُمْ﴾:

بَـيـانُ شِـدَّةِ إعْراضِهِم

دَلَّ التَّعبير بـ: ﴿هُمْ﴾ في قَوْلِه تَعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ عَلى اخْتِصاصِهم بِهَذا الإعْراضِ؛ حتّى كأنَّهم - لشدَّة إعْراضِهم - وحْدَهُم المُعْرِضون عَن ذِكْرِ رَبِّهم الذي أنْعَمَ عليهم وأفاضَ بواسِعِ رَحْمَتِه.

دِلالَةُ إضافة ﴿ذِكْرِ﴾ إلى ﴿رَبِّهِم﴾:

انْغِماسُ الكُفّارِ في الغَفْلَةِ ودَوامُهُم عليها

الإضافَةُ في ﴿ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ مِنْ قولِ اللّه سُبحانه: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ مِن إضافَةِ المَصْدَرِ إلى المَفْعولِ، والمَعْنى: بَل هُم عن تذكُّرِ ربِّهم مُعْرِضون، أي: في غَفْلَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ عنه[2] مع أنَّه خالِقُهُم وحافِظُهم باللَّيْلِ والنَّهار.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالرُّبوبيَّةِ:

إعْراضُ الكَفَرَةِ عَمَّنْ يكلؤهم بالليل والنهار

آثر القرآنُ الكريمُ التَّعبير بالرُّبوبيَّةِ فقال اللّهُ ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ تعريضًا بمُخالَفَتِهم ما يدَّعونَهُ؛ إذْ كانوا يدَّعون أنَّهم أشْكَرُ النّاس للإحْسانِ، وفي مُقابِلِ ذَلِكَ هُم مُعْرِضونَ عَن أعْظَمِ مَن يُحْسِنُ إلَيْهِم، بَل لا يُحْسِن إليهم غيرُهُ[3].

دِلالَةُ الإضافَةِ في ﴿رَبِّهِم﴾:

بُلوغُهُم الغايَةَ في الضَّلال

في إضافَةِ اسْمِ الرَّبِّ إلى ضَميرِهِم تَنْبيهٌ عَلى كَوْنِهم تَحْتَ مَلَكوتِه وتَدْبيرِه، وفي ذلكَ مِنَ الدّلالَةِ على كَوْنِهم في الغايَةِ القُصْوى مِنَ الغَيِّ والضَّلال ما لا يَخْفى[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 424.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4869.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 424.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69.

بَلاغَةُ الالتِفاتِ في الآيَةِ:

انْحِطاطُ الكُفّارِ عَنْ رُتْبَةِ التَّشْريفِ بِالخِطابِ

في قولِ اللّه سُبحانه: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ التفاتٌ مِنَ الخِطاب في ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ إلى الغَيبة في ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾؛ وكان مُقْتضى الظّاهر أن يَرِدَ النَّظم القرآنيُّ: (بَل أنتُم عَن ذِكْرِ رَبِّكم معرضون)، ولكن عُدِل عَن الخِطاب إلى الغَيْبَة؛ لِقَصْدِ الإنْكارِ عليْهِم وتوبيخِهِم إذْ تَرَكوا عبادةَ ربِّهم الحافظِ لَهُم وعبَدوا غيرَه، فكانَ الأَلْيَق بالمَقام ألّا يُوَجَّه الخطابُ إليهِم؛ لِما في الخطابِ مَن التَّشريف، وهُم لَيْسوا أهْلًا لَه[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُملَةِ الاسْميَّةِ:

الخَتْمُ على قُلوبِ أهْلِ الكُفْرِ فلا يَنْفُذُ إلَيْها خَيْرٌ

في التَّعْبير بالجُملةِ الاسميَّة ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ إشارَةٌ إلى اسْتِمرارِ إعْراضِهم، وأنَّ قلوبَهُم غُلْفٌ لا تُفْتَحُ لذِكْرِ اللّه تَعالى وذِكْرِ نِعَمِه وآلائِه[2].

مَوْقِعُ جُملَةِ الإضْرابِ:

التَّيْئيسُ مِنْ صَلاحِهِم

جُملَةُ الإضرابِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ ارتقاءٌ مِنَ التَّقريع المَجْعولِ للإصْلاحِ إلى التَّيْئيسِ مِن صَلاحِهِم، وذلكَ ببيانِ اسْتِمرارِ إعْراضِهِم عَن ذِكْرِ رَبِّهِم سُبْحانَهُ ودَوامِهِم عَلى هذا الإعْراض، فلا يُرجى مِنْهُم الانتفاعُ بالقَوارِعِ والزَّواجر، والمقصودُ: الأمرُ بِتَأخيرِ سُؤالِ التَّقريعِ والتَّوبيخِ إلى حينِ تَوَرُّطِهِم في العذابِ؛ فإنَّهم سَيُدْرِكون أنْ لا كالِئَ لَهُم ولا حافِظَ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِقَوْلِه: ﴿مُّعْرِضُونَ﴾:

تَرْكُ التَّأمُّلِ في المَواعِظِ موجِبٌ الإعْراضَ

آثَرَ النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بِقَوْلِه: ﴿مُّعْرِضُونَ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى أنَّهُم لَم يُعْمِلوا عُقولَهُم، ولَم يَتَأمَّلوا في شيءٍ مِن مَواعظِ اللّه تَعالى

(1) عبد الجواد السيوطي، بلاغة القرآن في سورتي الأنبياء والحج، ص: 63.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4869.

لَهُم؛ ليَعْرِفوا أنَّه لا كالِئَ لَهُم سِواهُ، ويَتْرُكوا عبادةَ الأصنامِ التي لا تَحْفَظُهم ولا تُنْعِمُ عليْهِم[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿أَمْ﴾:

تَوْبيخُ الكُفّارِ وتَقْريعُهُم لِجَعْلِهِم الأصْنامَ آلِهَةً

﴿أَمْ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ مُنقطعةٌ بمعنى بَل الإضرابيَّةِ والهمزةِ، وهو إضرابٌ انتقاليٌّ من لَوْمِهِم على جَهْلِهِم بكِلاءَةِ اللّه تعالى لَهُم النّاشئِ عن إعراضِهم عن ذِكْرِ ربِّهِم سبحانه، إلى لومِهِم وتوبيخِهِم وتَقْريعِهِم لاعتمادِهِم عَلى آلِهَتِهِم ونِسْبَتِهِم الحفظَ إلَيْها، وفي ذلكَ إنكارٌ أن يكون لَهُم آلهةٌ تَقْدِرُ على ذلكَ.

والاستفهامُ المُسْتفادُ من ﴿أَمْ﴾ المنقطعةِ استفهامٌ إنكاريٌّ بِمَعْنى إنْكارِ الواقِعِ، وإنكارُ الواقعِ لَوْمٌ وتأنيبٌ، فقَوْلُ اللّه تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ إنكارٌ لِما يَعْتَقِدونَه من أنَّ آلهتَهم الباطلةَ تَمنَعُهم من دونِ اللّه سُبحانه[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِقَوْلِه: ﴿لَهُمْ﴾:

تَوْبيخُ الكَفَرَةِ عَلى اعْتِقاداتِهِم الفاسِدَةِ

دلَّ التَّعبيرُ بِقَوْلِه: ﴿لَهُمْ﴾ على تَوْبيخِهِم وإنْكار واقِعِهِم الذي اعْتَقَدوه في آلِهَتِهم، من أنَّها تَمنَعُهم دون أن يَمنَعُهم اللّهُ تَعالى؛ فكَأنَّهم خَصّوها بذلك، وأنّى لَهُم فِعْلُ الحِفْظِ من دون اللّه سُبحانَهُ؟!

دِلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلّقِ فِعْلِ المَنْعِ:

لا تُغْني الآلِهَةُ الباطِلَةُ عَن عابِديها شَيْئًا

حُذِف مُتَعَلّق الفعْلِ ﴿تَمْنَعُهُم﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾، والتَّقْديرُ: (تَمنَعُهُم بأسَنا أو عذابَنا من دونِنا، أو تَمنَعُهم من عذابِنا)؛ ونُكْتَةُ الحَذْفِ الإيماءُ إلى عُمومِ النَّفْي، وأنَّ آلهتَهُم الباطلةَ لا تَمنَعُهُم من أيِّ شيءٍ كانَ ولَو يَسيرًا، فكيفَ بِعَذابِ اللّه تَعالى؟!

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 13/ 506.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 433، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69، والشنقيطي، أضواء البيان: 4/ 155، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4870.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِقَوْلِه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾:

نُـزولُ الآلِـهَـةِ الباطِلَةِ عَنْ رُتْبَةِ الوُجودِ

جاءَ التَّعبيرُ القُرآنيُّ: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ دون (أم تَمنَعُهُم آلِهَتُهم)؛ لأنَّ هذا التَّعبيرَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ؛ **أحدُهما**: بَل ألَهُم آلِهَةٌ تَمنَعُهم مِن أن يَنالَهُم مَكْروهٌ يَقَعُ عليهم مِن جِهَتِنا، **والآخَرُ**: (ألَهُم آلِهَةٌ غيرُنا تَحْفَظُهم وتَمنَعُهم)، فهذا التَّعْبيرُ فيه توجيهُ الإنكارِ والنَّفي إلى وُجود الآلِهَةِ المانِعَة مِن العَذاب، لا إلى نَفْسِ الصِّفة، لِذَلِكَ لَم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (أم تَمنَعُهُم آلِهَتُهم)، وذلكَ لأنَّ في نَفْيِ وُجودِها إيماءً إلى انْحِطاطِها عَن رُتْبَةِ الوُجود، فضْلًا عَن رُتْبَةِ المَنْعِ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿مِّن﴾:

كُلُّ الخَلْقِ تَحْتَ عَظَمَتِه وقَهْرِه سُبْحانَهُ

﴿مِّن﴾ في قولِ اللّه سُبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الابتداءِ، ولم يَرِد النَّظم القرآنيُّ: (تمنعهم دونَنا)؛ لأنَّ جميعَ الخَلْقِ تَحْتَ رُتبته ﷻ، فإدخالُ حرفِ الجَرِّ ﴿مِّن﴾ فيه إشارةٌ إلى تَحْقير هذه الآلِهَةِ، والمعنى: ألَهُم آلِهَةٌ تَمنَعُهم مِن مكروهٍ هُو تحتَ إرادَتِنا ومِن جِهَةٍ غيرِ جهتنا؟![2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِقَوْلِه: ﴿مِّن دُونِنَا﴾:

فـي اخْـتِـلافِ التَّعَلُّق إثْـراءً لِلمَعْنى

في التَّعبيرِ بِقَوْلِه: ﴿مِّن دُونِنَا﴾ وجهانِ؛ أحدُهُما: أنَّه متعلِّق بقَوْلِه: ﴿تَمْنَعُهُم﴾ قبلُ، والمَعْنى: ألَهُم آلِهَةٌ تَجْعَلُهم في مَنَعَةٍ وعِزٍّ، والآخَرُ: أنَّه متعلِّق بمحذوفٍ؛ لأنَّه صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أي: آلهة مِن دونِنا تَمنَعُهم[3].

عِلَّةُ فصْلِ جُملَةِ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ عَمّا قَبْلَها:

فُصِل قولُ اللّه تَعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ عمّا قَبْلَهُ؛

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 424 - 425.
(3) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 13/ 507.

لِكَوْنِه اسْتِئْنافًا مُقَرِّرًا لِما قَبْلَه مِن الإنكارِ، ومُوَضِّحًا بطلانَ ما يَعْتَقِدونَه، والمَعْنى: هُم لا يَسْتَطيعونَ أن يَنْصروا أنفسَهُم، فكيفَ يُتَوَهَّم أن يَنْصروا غيرَهُم؟!

مَـنْ عَـجَـزَ عَـنْ نَـصْـرِ نَـفْـسِـهِ؛ فـهُـوَ عَـنْ نَـصْرِ غَيْرِه أعْجَزُ

ويجوزُ أن يكونَ الفَصْلُ لوُقوعِ الجُملَةِ تَعْليلًا لِما قَبْلَها، والمَعْنى: إنَّ آلهتَهُم التي يَزْعُمون أنَّها مانِعَتُهُم؛ لَن تُغْني عَنْهُم شَيْئًا؛ لأنَّهم عاجِزون عن نَصْرِ أنفُسِهم، فكيفَ بِنَصْرِ غَيْرِهِم؟![1].

سِرُّ نَفْيِ اسْتِطاعَةِ نَصْرِ النَّفْسِ:

انْـحِـطـاطُ رُتْـبَـةِ الآلِـهَـةِ الباطِلَةِ عَـمّـا يَـتَـوَهَّـمُـهُ فيها عابِدوها

في نَفْيِ اسْتِطاعَةِ نَصْرِ الآلهةِ أنفسِها في قوله سُبْحانه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ مع أنَّه غيرُ مقصودٍ أصالةً؛ إذِ المقصودُ بيانُ قُصورِ رُتْبَتِها عمّا يتَوَهَّمُه فيها المُشْركون؛ وذلكَ لِلتَّنْبيه ابْتِداءً عن سُقوطِها عَن رُتْبَةِ نَصْرِ غَيْرِها سُقوطًا عَظيمًا؛ إذْ كَوْنُها عاجِزَةً عَن حِمايَةِ أنْفُسِها مِنَ الآفاتِ؛ يُفيد عَجْزَها عَن حماية غيرِها مِن باب أوْلى وأحْرى[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾:

العَجْزُ والضَّعْفُ وصْـفـانِ لازِمـانِ لِآلِهَةِ المُشْرِكينَ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارع ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ مِن قولِ اللّه سُبحانه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾؛ لإفادَةِ الدَّوام والاسْتِمرار، والمَعْنى: لا تَتَجَدَّد لَهُم استطاعَةٌ، بلِ العَجْزُ والضَّعْفُ ملازِمٌ لَهُم لا يَنْفَكُّ عَنْهُم بحالٍ.

وليسَ المقصودُ انْتِفاءَ دوامِ الاستطاعَةِ وإن كانَت تحْصُل لَهُم مرَّة مثلًا، بلِ المرادُ: دوامُ انْتِفاءِ استطاعَتِهم.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِضَميرِ العُقَلاءِ ﴿هُم﴾:

مُجاراةُ الخَصْمِ في فِعْلِهِ؛ لَيْسَتْ إقْرارًا لَهُ عليه

الضَّميرُ ﴿هُم﴾ - في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ - عائِدٌ عَلى آلهَتِهم التي يَتَعَلّقون بِها مِن الأصنامِ والأوثانِ، و﴿هُم﴾

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 425، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 69، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 50.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 147.

ضميرٌ مَوْضوعٌ لِلعُقَلاء، وآلِهَتُهُم غيرُ عاقلةٍ، وإنَّما عُبِّر عَنْهُم بِضميرِ العُقَلاء مجاراةً لَهُم في عِبادَتِهم وليسَ إقْرارًا بأنَّها تَعْقِلُ[1].

أو أنَّ المُشْرِكينَ لَمّا تعَلَّقوا بالعقلاءِ كالصّالحينَ، وغيرِ العُقلاءِ كالأصْنامِ؛ نُصَّ هنا عَلى العُقلاءِ فنُفيَ عَنْهُم استطاعَةُ المَنْعِ مِن بأسِ اللّه تَعالى؛ ليَكونَ ذَلِكَ دالًّا على أنَّ غيرَ العقلاءِ عاجزونَ عَن هَذا المَنْعِ بِطَريق الأولَويَّة والأحْرَويَّة.

دِلالَةُ تَقْديمِ ﴿هُم﴾ في قَوْلِه: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا﴾:

مَعيَّةُ الله تَعالى ونَـصْـرُهُ لِأهْـلِ الإيمانِ

قُدِّم الضَّميرُ ﴿هُم﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ لبيانِ أنَّ هؤلاء المُشْركينَ لَيْسوا هُم الذين يُصْحَبونَ مِنّا، بل إنَّ مَعيَّتنا وجِوارَنا ونَصْرَنا لِلذين آمَنوا بي وبِرُسُلي، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة:194]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:47]، ومثل ذلك يُقال في تَقْديمِ قولِه: ﴿مِّنَّا﴾ عَلى قولِه: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أي: لا يُصْحَبون منّا، بل يُصْحَبون مِمّن عَبدوهم مِن دونِنا، وقَد بَيَّن القرآنُ ذلكَ فقال اللّهُ سُبحانَهُ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: 74 - 75].

دِلالَةُ بِناءِ الفِعْلِ ﴿يُصْحَبُونَ﴾ لِلمَفْعولِ:

مِنْ لَوازِمِ الجِوارِ حِمايَةُ الجارِ

الفِعْلُ ﴿يُصْحَبُونَ﴾ مِنْ قول اللّه ﷻ: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ إذا كان مِن الصُّحبة بِمَعْنى المُلازَمَة؛ فبِناؤُه للمَفْعولِ فيه وجْهانِ:

أحدُهما: أن يكونَ حُذِفَ الفاعِلُ لِلعِلْمِ بِه، والتَّقديرُ: (لا يَصْحَبُهُم اللّهُ تعالى)، أي: لا يُؤَيِّدُهُم، وفي هذا نَفْيٌ لِما يَعْتَقِدُهُ المُشْركون مِن قَوْلِهِم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3].

والآخَرُ: أن يكونَ حُذِفَ الفاعلُ لإرادةِ العمومِ، والمَعْنى: لا

(1) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4870.

يَصْحَبُهُم صاحبٌ، أي: لا يُجيرُهم جارٌ؛ إذِ الجِوارُ يَسْتَلْزِمُ حمايةَ الجارِ، فيَكونُ كقولِه سُبْحانَهُ: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافِر:29].

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ الفِعْلُ ﴿يُصْحَبُونَ﴾ مِن الفعلِ الرُّباعيِّ: أَصْحَبَهُ، بمعنى: مَنَعَهُ وحَفِظَه مِنَ المَكْروهِ، وفي بِنائِه للمفعولِ الوجهانِ المُتَقدِّمان[1].

مُناسَبَةُ كَلِمَةِ الفاصِلَةِ لِمَضْمونِ الآيَةِ:

لا يَسْتَحِقُّ نَصْرَ اللهِ تَعالى إلّا مَنْ يُوَحِّدُهُ

الفاصلةُ في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ هي ﴿يُصْحَبُونَ﴾، وهي فاصلة مُمَكَّنَةٌ، فإنَّ المَعْنى المُسْتفادَ مِن جُملةِ الفاصلةِ يدلُّ على أنَّ تلك الآلهَةَ التي لا تَقْدِرُ على نَصْرِ نَفْسِها لا تَسْتَطيعُ نَصْرَكُم، بَل ولَسْتُم بِمَصْحوبينَ مِن اللهِ سُبْحانَه بالنَّصْرِ والتَّأييدِ، فالعِقابُ واقِعٌ عليكُم قَطْعًا.

فالتَّمكينُ في الفاصلةِ يُؤَكِّد أنَّ السَّلامة مِنَ العَذاب لا تأتي إلّا بِنَصْرِ اللهِ سُبْحانَهُ، وأنَّ نَصْرَهُ لا يَسْتَحِقُّه إلّا مَن يُوَحِّدُه تعالى، ولا يُشْرِكُ به شَيئًا[2].

دِلالَةُ الجَمعِ بَيْنَ نَفْيِ نَصْرِ أَنْفُسِهِم ونَفْيِ صُحْبَةِ اللهِ تَعالى إيّاهُم:

المشرك لا ينتفع بمعبوده

جَمع القُرآنُ الكريمُ بَيْنَهُما مِن بابِ الجَمعِ بينَ الآلِهَةِ وعابِديها حَيْثُ وصَفَ الآلهةَ التي زَعَموها بِوَصْفٍ ذَكَرَهُ القُرآنُ في قوله تَعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لا يَملكونَ لأَنْفُسِهم نَفْعًا ولا ضَرًّا؛ أمّا الذين عبدوا وهُم المُشْرِكون فقَد وصَفَهُم بِقَوْلِه: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي: يُجارون، والمَعْنى على هذا: لا تَنْصُرهم أوثانُهم واللهُ لا يَصْحَبُهم بجِوارٍ يَمنَعُهم لأنَّهم مشركونَ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 75.

(2) رشا بنت عبد الله الزيد، الفواصل القرآنية في سورة الأنبياء وعلاقتها بمقصودها: دراسة بلاغية، ص: 221.

(3) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4870.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكِلاءَةُ والحِفْظُ:

الـكِـلاءَةُ أخَـصُّ مِنَ الحِفْظِ

الكِلاءَةُ هيَ إمالة الشَّيْء إلَى جانب يَسْلَمُ فيه من الآفاتِ، ومنهُ قيلَ: كلأتُ السَّفينَة؛ إذا قَرَّبْتها من اليابسَةِ مَرْفَأ السَّفينَة، والحفظُ: صَرْفُ المَكارِه عنِ الشَّيْءِ لأجْلِ ألّا يَهْلَكَ، وعليه فالحِفْظُ أعمُّ من الكِلاءة؛ لأنَّ الكِلاءة حفظٌ مع مُراعاةٍ ومُراقبَةٍ ومُتابَعةٍ مِن أجلِ أن يَبْقى سالِمًا[1].

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 205، وعبد الجبار زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 485.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»